مجلة روافد للبحوث و الدراسات / مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة غرداية / العدد الخامس (ديسمبر 2018 م)
E: 2588-1787 / P: 2543 - 3563
/http://rawafid.univ-ghardaia.dz

قراءة في كتابات المناضل أحمد علي مهساس بخصوص مؤتمر وادي الصومام

أ: بكار الدهمة/ جامعة غرداية
Email :dahma01@gmail.com
أ.د: صالح بوسَليم/ جامعة غرداية
Email :salahboussalim@yahoo.fr

ملخص

أسالت نتائج ومقررات مؤتمر وادي الصومام 20 أوت 1956م، الكثير من الحبر في تلك الفترة الحرجة من تاريخ الثورة التحريرية، وأجّجت العديد من الخلافات والصراعات بين بعض قادة الثورة، وخاصة بين عناصر الوفد الخارجي وجماعة الداخل. لهذا سنحاول في هذا المقال، تقديم قراءة في كتابات المناضل أحمد علي مهساس بخصوص مؤتمر وادي الصومام، لأنه كان يرى بأن انعقاد هذا المؤتمر كان ضرورة وحتمية ملحة؛ بسبب المشاكل والنقائص التي بدأت تظهر بشكل واضح على مستوى كافة الميادين التنظيمية والهيكلية للثورة، ويُعد انعقاد المؤتمر حسب العديد من الباحثين والمعاصرين للأحداث، حدثا تأسيسيا هاما، ومحطة تاريخية بارزة وهامة، دفعت بالثورة التحريرية نحو تحقيق الاستقلال والنصر.

الكلمات الدالة: مؤتمر وادي الصومام، أحمد مهساس، هياكل الثورة، الثورة الجزائرية، قرارات المؤتمر.

Abstract

It seems that the results and decisions of the Conference of the Valley of the Sawmam 20 or 1956, I have asked a lot of ink at that critical period of the history of the editorial revolution It has fuelled many differences and conflicts between some of the leaders of the revolution, especially between the elements of the external delegation and the Community of the interior. This is why we will try in this article to provide a reading in the writings of the activist Ahmed Ali

Mahsas about the conference of Wadi al-Sawmam, the latter who felt that this Conference was an urgent necessity and imperative, because of the problems and shortcomings That began to manifest itself in the level of all the organizational and structural fields of the revolution, and therefore the convening of the conference according to many scholars and contemporaries of events an important constitutive event and a landmark milestone and important pushed the editorial revolution towards achieving independence and victory

Key words: The conference of the Sawmam Valley, Ahmed Mahsas, the structures of the revolution, the Algerian revolution, the decisions of the Conference

مقدمة:

يُعد تاريخ العشرين من شهر أوت سنة 1956م، من بين المحطات التاريخية الكبرى التي شهدتها الثورة الجزائرية، حيث كان منطلقا لمرحلة جديدة من مسار الثورة، وقد أسالت نتائج ومقررات المؤتمر الكثير من الحبر لدى الباحثين، وأجّجت العديد من الخلافات بين أقطاب الحركة الوطنية وصانعي أحداث الثورة. وكتب في هذا الشأن المناضل والقيادي البارز أحمد علي مهساس[1]؛ بخصوص قرارات المؤتمر ما يلي: " كانت فكرة انعقاد مؤتمر وادي الصومام بعد اندلاع الثورة مطروحة ومختمرة

(1) أحمد مهساس وفي بعض المراجع محساس والمعروف أيضا بـ: علي مهساس، وهو من مواليد بودواو بومرداس يوم 17 نوفمبر 1923 سياسي ومناضل سابق في حزب الشعب الجزائري PPA في الفترة 1940-1945 أحد أهم أعضاء المنظمة الخاصة OS ، تمّ إلقاء القبض عليه مباشرة على إثر اكتشاف المنظمة يوم 18 مارس 1950 استطاع الفرار من السجن بطريقة بطولية رفقة قائد المنظمة زميله أحمد بن بله في ماي 1952 ليلتحق بالخارج ويصبح من أوائل العناصر التي ستشكل فيما بعد ما يعرف بالوفد الخارجي بالقاهرة، وبعد اندلا ع الثورة أصبح مكلفا بملف جمع السلاح ونقله إلى الجزائر عبر ليبيا وتونس. وبعد الاستقلال تمّ تعيينه وزيراً للفلاحة، وبعد الحركة التصحيحية 19 جوان 1965 أصبح من أعضاء مجلس الثورة، ولكن سرعان ما اختلف مع النظام الجديد وخرج من الجزائر. له العديد من المؤلفات، أهمها كتاب: الحركة الثورية في الجزائر 1914-1954، متحصّل على شهادة الدكتوراه، توفي بالجزائر عن عمر يناهز 90 سنة يوم 24 فيفري 2013، للمزيد أكثر ينظر: الطاهر جبلي: الإمداد بالسلاح خلال الثورة الجزائرية 1954-1962، طبعة خاصة، دار الأمة للطباعة والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 599-600.

في أذهان مسيري الثورة الجزائرية، منذ اندلاعها، وما إن اجتازت الثورة سنتها الأولى حتى أصبح عقد المؤتمر ضرورة وحتمية لا جدال فيها أمام النجاح الباهر الذي حقّقته الثورة على جميع الأصعدة. "[1]

فعقد المؤتمر، أصبح ضرورة حسب رأي المناضل والقيادي البارز أحمد مهساس، وخاصة بعد أن بدأت تظهر بعض النقائص في مجالات عدّة هيكلية وتنظيمية وسياسية، كما شهدت المرحلة التي سبقت انعقاد المؤتمر التحاق العديد من فئات الشعب الجزائري وعناصر بارزة من أحزاب واتجاهات الحركة الوطنية الجزائرية بصفوف الثورة.

فبقدر ما صاغ المؤتمر عدّة حلول للمشاكل التي كانت تعاني منها الثورة في بدايتها، فقد تسبّب كذلك بالمقابل في خلق وإثارة العديد من الخلافات والصراعات الداخلية بين القادة ؟؟، والمعروف عن المؤتمر، أنه قد تسبّب في إفراز حالة شديدة من الانشقاق والاصطفاف الداخلي على مستوى القيادة، وخاصة بين عناصر الوفد الخارجي وجماعة الداخل، فهناك من القادة من رفض نتائج المؤتمر رفضا قاطعا واعتبرها خروجا وانحرافا عن مبادئ الثورة التي وردت في بيان أول نوفمبر1954 .؟؟

وللتذكير، فإن سلطات الاحتلال لما اندلعت الثورة ألقت القبض وبسرعة على أغلب مسؤولي حركة انتصار الحريات الديمقراطية M.T.L.D ظناً منها بأن الحركة قامت بمناورة الانشقاق[2]،من أجل التغطية عن التحضيرات التي انتهت باندلاع

(1) لمجد ناصر: أحاديث مع أحمد علي مهساس أحد مهندسي ثورة التحرير، تقديم محمد عباس، ط1، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، المسيلة، الجزائر، 2013، ص85.

(2) شهدت حركة انتصار الحريات الديمقراطية حالة من التفكك والتمزق والانشقاق بين عناصرها قبيل اندلاع الثورة التحريرية، فأصبحت الحركة تضم تيارين تيار مصالي متعصب لأفكار مصالي الحاج وتيار مركزي الداعي لإصلاح أجهزة الحركة الإدارية والسياسية، وفي خضم هذا الصراع والتنافس على المناصب والسلطة داخل الحركة ظهر تيار ثالث من الشباب المتحمس للعمل المسلح فأسس اللجنة الثورية للوحدة والعمل وقام بالتحضيرات التي انتهت باندلاع الثورة التحريرية يوم الفاتح نوفمبر 1954 للمزيد ينظر، عيسى كشيدة : مهندسو الثورة، ط1، دار الشهاب، الجزائر، 2003، ص ص 40-55.

الثورة، ولكن بعد التحريات والتحقيق مع أولئك المسؤولين، تبين للسلطات بأن من قاموا بتفجير الثورة هم كتلة محايدة فجرت الثورة لتضع الجميع أمام أمر الواقع، ولكي يتحمل الجميع المسؤولية. ولهذا لم يكن أمام هؤلاء القادة من خيار سوى الانضمام لصفوف الثورة أو الوقوف ضدها.

لكن إطلاق سراح أولئك الذين يتميز معظمهم بنوع من الاعتدال، كان الهدف منه هو محاولة احتواء الثورة بافتكاكها من البداية عن مفجريها أصحاب التوجه الثوري الراديكالي[1]، فقد كان هاجس المعتدلين هو الرغبة في احتواء الثورة، ولهذا عندما علم هؤلاء المعتدلون بفكرة انعقاد مؤتمر الصومام سارعوا إلى التحضير له وشجعوا السيد عبان رمضان[2] على المضي في جعل المؤتمر حقيقة مجسدة على أرض الواقع كون رمضان عبان في نظرهم كان هو الأكثر طموحاً إلى الزعامة لذا رأوا في شخصه ضالتهم لتحقيق أهدافهم البعيدة.

كان من الأخطاء الكبيرة التي وقع فيها المناضل محمد بوضياف[3] والتي مكّنت لتيار السيد عبان رمضان من الانفراد بالساحة الداخلية هي عدم التزام السيد محمد

(1) لمجد ناصر: المصدر السابق، ص86.

(2) من مواليد 20 جوان 1920بقرية الأربعاء إيرثن القريبة من مدينة تيزي وزو وسط عائلة ميسورة الحال، واصل عبان دراسته بثانوية البليدة وتحصل على شهادة البكالوريا سنة 1941، شغل فيما بعد ككاتب عام ببلدية شلغوم العيد، وأثناء الحرب العالمية الثانية كان من المجندين في صفوف الجيش الفرنسي برتبة ضابط صف، انخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري وشارك في مظاهرات 8 ماي 1945 ، أصبح عضوا في المنظمة الخاصة، بعد تأسيسها وألقي عليه القبض على إثر اكتشافها وحكم عليه بالسجن لمدة ست سنوات، أطلق سراحه في جانفي 1955، ليلتحق مباشرة بالثورة بعد اتصاله بالمناضل عمر أوعمران، تم تكليفه بتنظيم الجزائر العاصمة ولعب دوراً كبيرا في الإعداد لمؤتمر الصومام، وكان صاحب الأولويات، اغتيل في النهاية بالمغرب يوم 27 ديسمبر 1957 للمزيد ينظر: الطاهر جبلي: الإمداد بالسلاح ...، مرجع سابق، ص588.

(3) من مواليد سنة 1919 بقرية أولاد ماضي بولاية المسيلة، اشتغل بعد مرحلة التعليم بمصالح الضرائب بمدينة جيجل، انضم إلى صفوف حزب الشعب الجزائري ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية، أصبح فيما بعد عضواً بارزاً في المنظمة الخاصة مسؤولاً على القطاع القسنطيني، حوكم غيابياً على إثر اكتشاف المنظمة الخاصة وفي سنة 1953 التحق بفرنسا لتنظيم شؤون الحركة هناك وبعد عودته للجزائر ساهم في تأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل مارس 1954 وكان من بين أعضاء مجموعة الاثنان والعشرين، تم اعتقاله في حادثة اختطاف الطائرة 22 أكتوبر 1956، بعد الاستقلال عارض نظام الحكم وأسس حزب الثورة الاشتراكية في جوان 1963 تعرض للسجن والنفي إلى الجنوب الجزائري، غادر البلاد إلى المغرب واستقر هناك، وبعد استقالة الرئيس الشاذلي بن

بوضياف بالمهمة التي كان مكلفاً بها من البداية، وهي مسألة التنسيق بين الداخل والخارج في شؤون الثورة، وفي هذا الصدد يقول أحمد علي مهساس: " فلما ذّكرتهُ يقصد بوضياف بمهمته ونحن بالمغرب الأقصى قال لي من يريد تسيير الثورة من الداخل فهو مجنون وحين ظهر عبان على الساحة وبدأ يتصرف كأنه قائد الثورة حينها استيقظ بوضياف من غفوته. "[1]

وبالعودة إلى مسألة المؤتمر، يواصل أحمد مهساس قائلاً: "... أمام اقتراب موعد المؤتمر وُجّهت الدعوات إلى السادة أحمد بن بلة"[2]،ومحمد خيضر[3]، اللذان انتقلا إلى

جديد استدعاه ضباط الجيش الشعبي الوطني ليشغل منصب رئيس الجمهورية ،وفي يوم 29 جوان 1992 من نفس السنة تم اغتياله؟ للمزيد ينظر: الطاهر جبلي، المرجع السابق، ص588

(1) لمجد ناصر: المصدر السابق، ص 84

(2) ولد في 25 ديسمبر 1916 ب مدينة مغنية بالغرب الجزائري من أسرة فلاحية تابع دراسته بثانوية تلمسان وانخرط فيما بعد في حزب الشعب الجزائري كما كان من المشاركين في الحرب العالمية الثانية، وبعد انتفاضة 08 ماي 1945 انخرط في صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وعندما تأسست المنظمة الخاصة أصبح من أهم عناصرها وكان من المخططين لعملية السطو على بريد وهران في أفريل 1949. و في نهاية سنة 1949، أصبح رئيساً للمنظمة الخاصة بعد إزاحة السيد حسين آيت أحمد عن رئاستها بسبب الأزمة البربرية، ألقّي عليه القبض على إثر اكتشاف المنظمة الخاصة وحّكم عّليه بالسجن لمدة خمسة سنوات، وفي مارس 1952 استطاع أحمد بن بلة رفقة زميله أحمد علي مهساس الفرار من سجن البليدة، وبعد فراره من السجن التحق بالوفد الخارجي بالقاهرة، شارك في تأسيس والتحضير للثورة وبعد اندلا ع الثورة أصبح عضواً بارزاً في الوفد الخارجي مُكلف بالجانب العسكري وخاصة قضية جلب وتزويد الثورة بالسلاح، أُعتقل في حادثة اختطاف الطائرة في 22 أكتوبر 1956، وأُطلق سراحه بعد وقف إطلاق النار مارس 1962، عارض الحكومة المؤقتة الجزائرية آنذاك والتي كان يقودها بن يوسف بن خدة، انتخب سنة 1963 كرئيس للجمهورية ثم تمّ عزله على إثر انقلاب 19 جوان 1965، واعتقل لمدة 19 عاما ثم أفرج عنه الرئيس الشاذلي بن جديد. توفي يوم 11 أفريل2011 ، للمزيد ينظر الطاهر جبلي: الإمداد بالسلاح ، المرجع السابق، ص ص 559-560.

(3) من مواليد سنة 1912 ينحدر من عائلة ريفية من مدينة بسكرة، زاول دراسته بمسقط رأسه قبل أن يضطر يغادر الدراسة من أجل إعالة عائلته ، في سنة 1934 انخرط في حزب نجم شمال إفريقيا ثم في حزب الشعب الجزائري بعد أن تأسس سنة 1937، وأصبح نائباً في البرلمان بعد تأسيس حركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1946، اتهمته سلطات الاحتلال بتورطه في حادثة السطو على بريد وهران وذلك باستعمال سيارته في نقل وتمرير الأموال، رفض تسليم نفسه عندما طلبت منه الحركة ذلك وفر إلى الخارج نحو القاهرة وأصبح من أهم عناصر الوفد الخارجي منذ سنة 1951، اعتقل في حادثة اختطاف الطائرة في 22 أكتوبر 1956، وعند ما تأسست الحكومة الجزائرية المؤقتة أصبح عضواً شرفياً في تشكيلتها، أُغتيل بعد الاستقلال بسبب معارضته لنظام الحكم في العاصمة الإسبانية مدريد يوم 04 جانفي 1967، للمزيد ينظر عاشور شرفي : قاموس الثورة الجزائرية 1954-1962، ترجمة عالم مختار ، دار القصبة ، الجزائر،2007.

الحدود الليبية؛ وفق الاتفاق المبرم مع جماعة الداخل، لكن الجماعة لم تف بوعدها، فلما وصل أحمد بن بلة رفقة زميله إلى المكان المتفق عليه لم يجدوا أحداً هناك في انتظارهم فعادوا عبر إيطاليا بعد أن انتظروا لعدة أيام ... "[1].

أما بخصوص المشاركة، يقول أحمد مهساس:" أما أنا ومحمد بوضياف فلم تصلنا الدعوة وكان لدينا يقين بأنهم تعمدوا تغييبنا عن قصد"، فحسب رأيه كان الهدف هو عزل وتفريق القادة الحقيقيين بوضعهم على الهامش، فقد حاول البعض منهم إجهاض الثورة من البداية فما أن خرجوا من السجون[2] في ربيع سنة 1955 حتى سارعوا واتصلوا بنا ونحن في القاهرة، هكذا يقول أحمد مهساس كان ذلك بإيعاز من سلطات الاحتلال؛ بهدف البدء في التفاوض، كان من هؤلاء صالح الونشي وبن يوسف بن خدة، اللذان طلبا منا إيفاد السيد محمد خيضر إلى سان ريمو بإيطاليا لعرض عليه الفكرة، وللبدء في التفاوض فرفضنا ذلك أنا وأحمد بن بلة والعربي بن مهيدي ومحمد بوضياف. وبدلاً عن ذلك قررنا أن نرسل إليهما السيد أحمد بن بلة الذي التقى بهما في إيطاليا بالفعل، وقالوا له بأنهما موفدان من طرف السلطات الفرنسية التي تريد التفاوض معهم بشرط أن تكون جبهة التحرير الوطني غير حاضرة في العملية، وكشفوا له بأن عبان رمضان معهما في المبادرة؟ فما كان من بن بلة إلا أن رفض المبادرة رفضاً قاطعاً، ولما فشلت محاولتهم تلك جاؤوا بمبادرة وطرح آخر حينما اجتمعوا في القاهرة وعقدوا ما يُسمى بالمؤتمر الوطني الجزائري، الذي شارك فيه العلماء وبعض النواب وعناصر من الحركة الوطنية الجزائرية M.N.A، وكان محمد خيضر معهم،

(1) لمجد ناصر: المصدر السابق، ص87.

(2) مع اندلاع الثورة اعتقدت سلطات الاحتلال أن من قام بتفجير الثورة هم عناصر وقيادات من حركة انتصار الحريات الديمقراطيةK ولهذا أقدمت على اعتقال الكثير منهمK وخاصة أتباع التيار المركزي، ولكن بعد أن اكتشفت بأن ليست لهم علاقة بالثورة أطلقت سراحهم في ربيع سنة 1955 للمزيد ينظر : عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962،دار البصائر، الجزائر، 2013،ص 362،و ينظر كذلك : محمد العربي الزبيري : تاريخ الجزائر المعاصر دراسة، دار الحكمة، الجزائر،2014،ج2، ص24، و ينظر كتابه الموسوم بـ: الثورة في عامها الأول.

وحينما علمنا بذلك رفضنا الفكرة رفضاً قاطعاً، لأن ذلك يعتبر في نظرنا انحرافاً عن مبادئ بيان أول نوفمبر 1954[1].

يواصل أحمد علي مهساس روايته قائلاً: " طلبت من القيادة أن أذهب إلى العاصمة لاستخلاف القائد رابح بيطاط على رأس المنطقة الرابعة بعد اعتقاله، لكن الجماعة رفضوا طلبي[2] بحجة ضرورة الذهاب إلى المشرق للوقوف على قضية ومسألة الدعم وتوريد السلاح،وبسبب الفراغ الذي خلفه اعتقال رابح بيطاط تسرب عبان إلى النظام والقيادة على غرار أشخاص آخرين أمثال بن يوسف بن خدة وسعد دحلب"[3] يواصل مهساس يقول :" عندما تم رفض طلبي طلبنا من العربي بن مهيدي بأن يخلف رابح بيطاط على رأس المنطقة الرابعة قلنا له سلم مسؤولياتك في وهران إلى نائبك عبد الحفيظ بوصوف واذهب أنت إلى العاصمة. ولهذا عندما انعقد مؤتمر الصومام لم يكن بن مهيدي يمثل المنطقة الخامسة وهران الغائبة عن المؤتمر بل كان يمثل المنطقة الرابعة؟

يقول مهساس إنه" تمّ إعلامنا بتاريخ المؤتمر ولكنهم خطفوا المؤتمر منا للتمكين لأنفسهم وفرض أمر الواقع[4] ... المؤتمر كله لم يعجبنا لأنه كان مزور؟،جاءت جماعة من الذين فاتهم قطار الثورة سنة 1954 من المركزيين والأحزاب الأخرى التي كانت تقف عكس اتجاه الثورة وأرادوا تنحية المفجرين الأوائل الذين أصبحوا في نظرهم متطرفين ومتعصبين ... لم يحضر المؤتمر قادة المنطقة الأولى الأوراس ولم يحضر كذلك قادة القاعدة الشرقية النمامشة التي لم تكن منطقة في الحقيقة ولكن كانت قاعدة متصلة بمعظم المناطق الأولى والثانية والثالثة والرابعة مكلفة بتوفير السلاح و التنسيق مع الخارج" [5] .

(1) لمجد ناصر: المصدر السابق، ص87.
(2) الذين رفضوا هم جماعة الخارج محمد بوضياف وأحمد بن بلة والعربي بن مهيدي .
(3) مهساس أحمد: سباق مع القدر قصة مذكرات، إعداد الصحفي مصطفى دالع، بدون رقم طبع، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 95.
(4) نفسه، ص 94.
(5) نفسه، ص 93.

وبخصوص عدد المشاركين في المؤتمر، يقول أحمد مهساس حضر المؤتمر المزعوم خمسة عناصر فقط؟ وهم عمر أوعمران ولخضر بن طوبال وكريم بلقاسم والعربي بن مهيدي وعبان رمضان، ثم يطرح تساؤل: هل يمكن تسميته بمثل هذا التمثيل مؤتمراً؟ وخاصة إذا علمنا بأن المواثيق والنصوص التي أفرزها المؤتمر عفواً اللقاء لم تكن من صنع الحاضرين ؟. وهذا حسب تصريح السيد لخضر بن طوبال الذي قال في هذا الشأن: " أحضر عبان رمضان أوراقا وطلب منا الإمضاء عليها فأمضينا رغم أننا لم نشارك في صياغتها"[1].

وفي الحقيقة كانت هناك لجنة تعمل تحت تصرف عبان رمضان هي التي تكفلت بصياغة القرارات والمواثيق كان أغلب عناصرها من المناوئين للثورة في البداية؟ كان على رأس هؤلاء السيد عمار أوزقان الأمين العام السابق للحزب الشيوعي الجزائري. وفي هذا الصدد يقول مهساس جاؤوا بوثيقة مناقضة لبيان أول نوفمبر الذي كانت مرجعيته واضحة وأصيلة، وهي العروبة والإسلام، أما وثيقة الصومام فقد أهملت وحذفت هذا الأساس ووضعت القاهرة وموسكو وواشنطن هي المرجعية؟

وبخصوص المناطق التي شاركت في المؤتمر، يقول أحمد مهساس لم تشارك في المؤتمر المنطقة الأولى الأوراس ولا المنطقة الخامسة وهران ولا فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا ولا حتى المنطقة الرابعة التي كان قائدها الفعلي الضابط محمد بوقرة؟ ثم يقول لم يكن هناك مؤتمر؟ بل عبارة عن عملية تزوير واضحة بعد أن تم إقصاؤنا لأننا كنا نمثل التيار العروبي الإسلامي. ويواصل المناضل مهساس قائلاً: " كانت جماعة عبان رمضان في الداخل تُروج عني أنا بالذات إشاعات من حين إلى آخر فتارة يتهمونني بأنني أفضل منطقة الأوراس في قضية السلاح عن باقي المناطق الأخرى وتارة يتهموننا بالعجز عن أداء مهامي المتمثلة في توفير السلاح والتنسيق مع الداخل، وتارة يروجون عنا إشاعات بأننا نأتمر بأوامر المصريين وهذا غريب للغاية؟ كلها ادعاءات مخالفة ومجانبة للواقع والحقيقة يشهد بذلك جنود الداخل ذاتهم فما من

(1) لمجد ناصر: المصدر السابق، ص 88.

منطقة طلبت السلاح إلا وفرناه لها "[1]. لقد كان عبان رمضان حسب رأي مهساس ألعوبة في يد مجموعة من محترفي السياسة استغلوه لقضاء مآربهم ولما اصطدم مع مخططاتهم غيبوه نهائياً.

2- مآخذ السيد أحمد علي مهساس على المؤتمر:

أفرز المؤتمر حسب تصور السيد مهساس قرارات ومبادئ في غاية الخطورة؛ كفكرة أسبقية الداخل عن الخارج، والسياسي على العسكري[2] وهي ما اعتبرها مهساس بدعة وتراجع عن مبادئ الفكر الثوري السائد آنذاك. يقول كنا نخوض الكفاح دون مسميات، فكل مسؤول سياسي هو في نفس الوقت عسكري، كما أننا نؤمن بأن الكفاح ليس له حدود؟. وفيما يتعلق بالسياسي والعسكري، فقد كانت تجربتنا داخل المنظمة الخاصة (OS) قد فرضت علينا عدم التفريق بينهما[3]. أما فيما يتعلق بتنظيم الجيش، فقد ادعى المؤتمرون بأنهم عصريون وتقدميون أرادوا هيكلة جيش عصري برتب وضباط، فهذا الأمر قد فكرنا فيه من قبل بل وشرعنا في تطبيقه وتجسيده؛ فحين أنشأنا القاعدة الشرقية أعطينا الأوامر رسمياً لتكوين أربعة فرق عصرية، كان من ضمنها الفرقة التي كان يشرف عليها الرئيس المرحوم الشاذلي بن جديد، ونجحنا في ذلك وهيكلنا ثلاثة فرق هيكلة جيدة تراعي ظروف الكفاح وحرب العصابات؛ أي تتشكل حين الضرورة، ثم تختفي على خلاف ما جاء في قرارات المؤتمر التي طالبت بضرورة تشكيل فرق ووحدات قتالية كبيرة فيالق وكأنهم في حياة عادية . وبسبب هذه الانحرافات، يقول السيد أحمد مهساس، كان لزاماً علينا أن نتحرك لتصويب الأخطاء، وكنا نأمل أن تتم معالجة الأمر بود وفي سرية تامة فطلبنا منهم في البداية عدم نشر وثائق المؤتمر حتى نتدارك الأمر ونخرج في النهاية بوثيقة تحقق الإجماع الوطني بدون إقصاء لأي طرف وبالمقابل نعلن بأننا ساهمنا وشاركنا

(1)نفسه، ص92.

(2) مسعود عثماني: من اغتال بن بولعيد، ط1، دار الهدى للطباعة و النشر، عين ميلة، الجزائر، 2015ص ص 203-207.

(3) لمجد ناصر : نفسه، ص90.

في صياغة القرارات لكن الجماعة في الداخل رفضوا هذا المقترح وتعمدوا نشر الوثيقة بدون مراجعة في جريدة المجاهد[1]. ثم يقول مهساس:" حينها توجهت إلى ليبيا والتقيت هناك بأحمد بن بلة وقلت له لقد حان الوقت لنضع حداً لهؤلاء وإذا تركنا الأمر وتخلينا عن مسؤولياتنا فإن الثورة ستفشل؟ واتفقنا على رسم خطة لإجهاض وإسقاط تلك القرارات، وذلك بالتنسيق مع مفجري الثورة المعارضين مثلنا والمتواجدين في تونس والجزائر، يقول مهساس في هذا الشأن كنا في تونس أمام خيارين إما تنظيم معارضة مسلحة ضد جماعة عبان رمضان ولجنة التنسيق والتنفيذ وإما نترك الوضع كما هو ويبقى الشقاق قائماً بين الطرفين كما هو قائم بيننا وبين جناح مصالي الحركة الوطنية الجزائريةM.N.A" [2]. وبالفعل انطلقنا في التحضيرات من تونس لتقويم المسار ووجهنا دعوات إلى كل من محمد بوضياف ومحمد خيضر وحسين آيت أحمد للانضمام إلينا، ولكن حادثة اختطاف الطائرة في22 أكتوبر 1956 حالت دون ذلك.

واللافت للانتباه، أنه في اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية بالقاهرة في شهر أوت سنة 1957 تغير كل شيء ،حيث تم اتخاذ مواقف مضادة تماماً لقرارات مؤتمر الصومام من طرف الحاضرين الذين قرروا إلغاء جميع قرارات المؤتمر؛ أين وجد عبان رمضان نفسه هناك وحيداً وبدون سند، فقد تخلت عنه مجموعته وزمرته بعد أن تأكّدت من عدم قدرتها على تجسيد وتطبيق قرارات الصومام على أرض الواقع، وذلك بسبب تغير الظروف وتسارع الأحداث فواقع الثورة آنذاك وظروف القادة الذين أصبح معظمهم في الخارج شكّل عائقا وصعوبة في تطبيق ومسايرة تلك القوانين واللوائح الصارمة المنبثقة عن المؤتمر. يقول أحمد مهساس أنه لم يحضر الاجتماع السابق الذكر الذي حضره عبان رمضان على مضض، والذي بفعل نتائجه أصبح هذا الأخير شبه معزول مما جعله ينتقد وبشدة تلك القرارات التي تمخضت عن الاجتماع، بل

(1) تم نشر الوثيقة في جريدة المجاهد في العدد الصادر بتاريخ 01 نوفمبر 1956 بمناسبة الذكرى الثانية لاندلاع الثورة التحريرية.

(2) مهساس أحمد: سباق القدر، المصدر السابق، ص98.

ذهب لأكثر من ذلك عندما أخذ يهاجم تصرفات العقداء الخمسة [1](بصورة علنية في الخارج الذين بدورهم اتهموه بالتشويش وبتعطيل أعمال اللجنة و المجلس بالخارج فأخذوا يحذرونه وينذرونه، ولكن الرجل بقي صامدا وثابت على مواقفه، مما دفع بأولئك القادة إلى اتخاذ قراراً خطير وجريء وهو إسكات صوت الرجل الذي أصبح يشكل في نظرهم عائق حقيقي أمام طموحاتهم القيادية، وهذا ما وقع بالفعل يوم 27 ديسمبر 1957 بالمغرب، بحيث أسدل الستار على أحد أهم القضايا الشائكة في تاريخ الثورة المتصاعدة وذلك بتصفية الرجل [2].

3-أهمية المؤتمر في سياق أحداث الثورة:

يعتبر السيد بن يوسف بن خدة مؤتمر الصومام حدثاً تأسيسيا؛ بفعل ما تمخض عنه من نتائج ومقررات والتي يعود الفضل في طرحها وتجسيدها -حسب رأيه-إلى السيد عبان رمضان، الذي يصفه بالرجل الحازم والصارم والمصمّم على انجاز وإنجاح المؤتمر. يقول بن يوسف كنت رفقة الأخوة عبان وبن مهيدي نشكل ثالوثا مهمته تنظيم منطقة الجزائر العاصمة[3]، يواصل بن خدة يقول في البداية لا يمكن معرفة وإدراك المغزى من الحدث إلا إذا وضعناه في سياقه التاريخي فما هو هذا السياق؟

وبالعودة إلى الوراء، وبالضبط إلى الاجتماع التاريخي الأخير الذي جمع قادة ومهندسو الثورة بتاريخ 23 أكتوبر 1954 بالرايس حميدو بولوغين حالياً في الجزائر العاصمة تقرر بعد وضع اللمسات الأخيرة لتفجير الثورة وتوزيع المهام عقد اجتماع آخر يكون في المستقبل في حدود منتصف شهر جانفي سنة 1955، من أجل تقييم المرحلة الأولى من عمر الثورة واستدراك النقائص والهفوات المصاحبة للبداية، ولكن

(1) العقداء الخمسة هم: محمود الشريف وكريم بلقاسم، ولخضر بن طوبال، وعبد الحفيظ بوصوف/ وعمر أو عمران للمزيد ينظر: صالح بلحاج: أزمات جبهة التحرير الوطني وصراع السلطة 1956-1965، ط1، دار قرطبة، الجزائر،2006، ص18.

(2) لمجد ناصر: المصدر السابق، ص 104.

(3) ابن يوسف بن خدة: شهادات ومواقف، ط1، دار النعمان للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص55.

ظروف الحرب وانقطاع الاتصالات واستشهاد واعتقال بعض القادة حال دون ذلك الاجتماع[1].

وقد أعطى انضمام عبان رمضان إلى الثورة بعد إطلاق سراحه من السجن الفرنسي في شهر جانفي سنة 1955 دفعا قويا للجبهة وللعمل المسلح، فالرجل اتخذ من البداية من مدينة الجزائر العاصمة مقراً له ولإدارته الجديدة؛ رفقة كلاً من كريم بلقاسم والعربي بن مهيدي، وتحولت العاصمة بفعل حضور هؤلاء إلى مركز حقيقي لإدارة الثورة تحت سلطة عبان رمضان الحازمة، وكان عبان يحرر ويصدر المنشورات والقرارات بصيغة الأوامر والنواهي ويرسلها إلى الجهات الأخرى، و التي كان شعاره دوما هو أن تحرير الجزائر لن يحدث إلا إذا كان هناك عملاً جماعي تشارك فيه كافة فئات الشعب الجزائري بكل مكوناته السياسية[2] ؟.

وبالجملة، فلقد أثمرت جهود عبان في هذا المسعى، حيث استطاع في وقت وجيز أن يصنع موجة وعي حقيقية في أوساط النخب السياسية الجزائرية، وكان ذلك في الفترة الممتدة ما بين خريف سنة 1955 وربيع سنة 1956، وهي الفترة التي انضمت فيها معظم الاتجاهات السياسية والإصلاحية في الجزائر للثورة[3]، من مركزيين ونواب جماعة الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري الذي كان يتزعمه فرحات عباس، هذا الأخير الذي قام بحل حزبه من القاهرة في أفريل سنة 1956، والتحق بصفوف الثورة من هناك، وكذا مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي أصدر بيانا في جريدة البصائر يوم 07 جانفي 1956 ساند فيه الثورة بشكل مباشر وصريح.

(1) حالت عدة ظروف دون انعقاد اللقاء بين القادة كاشتداد الحرب وانقطاع الاتصالات واستشهاد بعض القادة، أمثال ديدوش مراد 18 جانفي 1955، واعتقال مصطفى بن بولعيد فيفري 1955، ورابح بيطاط في مارس 1955، وخروج محمد بوضياف إلى الخارج، كلها أسباب حالت دون انعقاده.

(2) عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط خ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر2013 ص ص381-382

(3) محمد لحسن غيدي: مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الجزائرية 1956-1962 ط3، دار هومة، للطباعة والنشر، الجزائر2004، ص ص135-382.

وفي نهاية المطاف، أفرزت هذه الاستراتيجية الوحدوية التي عمل على تحقيقها عبان رمضان نتيجة هامة وملموسة بحيث اتسعت القاعدة الشعبية والسياسية للجبهة وخاصة بعد تأسيس الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (UGEMA)في شهر جويلية سنة 1955 وتأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين في (UGTA) في 24 فيفري 1956، والاتحاد العام للتجار (UGCA) في سبتمبر من نفس السنة(1).

4-سير أشغال المؤتمر:

انتظر القادة الذين حضروا إلى مؤتمر الصومام مجيء ممثلي **المنطقة الأولى** الأوراس وعناصر الوفد الخارجي، لكن الانتظار طال ولم يحضر هؤلاء الذين عجزوا عما قام به السيد العربي بن مهيدي الذي استطاع الدخول إلى أرض الوطن عائداً من القاهرة. وخلال اللقاءات التمهيدية التي سبقت جلسات المؤتمر، بدأت تظهر بعض الخلافات بين الحاضرين، وكان عميروش أول من أبدى استياؤه من تصرفات عبان رمضان الأبوية، وكان عبان حسب عميروش يتصرف وكأنه سيد المؤتمر وهو نفس الاستياء الذي أبداه السيد لخضر بن طوبال نائب قائد منطقة الشمال القسنطيني الذي قال:" يبدو أن جماعة العاصمة قد شكلوا مسبقاً قيادة خماسية وجاءوا بنا إلى هنا لكي نصادق على قراراتهم." وبعد تنقية الأجواء من التشنجات والخلافات التي ظهرت من البداية، اتفق الجميع على فتح أشغال المؤتمر يوم 20 أوت 1956 بحضور المناطق الآتية:

المنطقة الثانية: زيغود يوسف ونائبه لخضر بن طوبال ومصطفى بن عودة وعلى كافي وحسين رويبح وإبراهيم مزهودي.

المنطقة الثالثة: كريم بلقاسم ومحمدي سعيد وعميروش آيت حمودة وأقاسي.

المنطقة الرابعة: حضر عنها عمر أوعمران وصادق دهيليس وسي أحمد بوقرة.

(1) ابن يوسف بن خدة: المصدر السابق، ص 62.

المنطقة الخامسة: العربي بن مهيدي رئيس المؤتمر بينما غابت المنطقة الأولى والوفد الخارجي وفيدرالية فرنسا أما السيد عبان رمضان، فقد كان حضوره كسياسي، يمثل المنطقة المستقلة الجزائر العاصمة مع جملة مُرافقه [1].

وقد تطرق المؤتمرون إلى عّدة نقاط تنظيمية وسياسية وعسكرية تخص الثورة. وعندما طرحوا مبدأ الأولويات ومسألة عضوية بعض المركزيين والمعتدلين بصفة عامة في المناصب القيادية، ظهر الخلاف مرة ثانية بين الحضور، بحيث تدخل عبان رمضان مدافعا عن المركزيين قائلاً: " لا يجب أن نعطي الأولوية للعسكريين فقط يجب أن يكون المركزيين ممثلين كذلك في اللجنة التنفيذية والمجلس الوطني للثورة. " [2] وقد عارض السيد عمر أوعمران هذا الطرح معارضة شديدة ورفض فكرة عبان رفضاً قاطعاً، كما عارض فكرة اختيار الجزائر العاصمة كمقر للجنة التنفيذ والتنسيق واعتبارها منطقة مستقلة عن المنطقة الرابعة التي كان قائدا عليها في تلك الفترة[3] . وكان عمر أوعمران يعتقد بأن فتح الباب أمام الفئات البرجوازية سيؤدي في النهاية إلى اعتماد الحلول المرحلية والتفاوضية مع فرنسا، لكن تدخل بن مهيدي بصفته رئيس المؤتمر حسم الأمر عندما قال:" لن نسمح أبداً بظهور قوة ثالثة بإمكانها التفاوض مع فرنسا من دون جبهة التحرير الوطني " [4].

وبإقرار أولوية السياسي على العسكري، والداخل على الخارج، تمكن عبان رمضان من التقدم نحو الصدارة، لكن مدة انتصاره لم تدم طويلاً، إذ بعد ذلك بسنة تقريباً تمكّن العسكريون من إفشال محاولته عندما فرضوا منطق القوة وكرسوا نهائياً مبدأ تبعية السياسي إلى العسكري في شؤون الحكم والقيادة. وعندما نراعي ظروف الثورة في تلك الفترة، نجد بأن المبدأين من حيث المنطق والواقع كانا ضروريين وإن لم

(1) عبد القادر حميد: المرجع السابق، ص 110.أحمد عبيد: التماثل والاختلاف في حركات التحرر المغاربية (الجزائر، تونس، المغرب)، ط1، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر 2010،ص ص 141-142.
(2)عبد القادر حميد: المرجع نفسه، ص 111.
(3) طاهر جبلي: المرجع السابق، ص549.
(4) نفسه، 112.

يخفيا حقيقة طموحات السيد عبان رمضان الساعي للانفراد بالسلطة العليا للجبهة. ويبدو أن مهمة عبان رمضان لم تكن بالسهلة، لكن الظروف التي انعقد فيها المؤتمر مكّنته من تمرير مشروعه بسهولة، لأن الوفد الخارجي المعارض كان غائباً وقادة الداخل من العسكريين كانوا تقريبا خاضعين بشكل أو بآخر إلى اثنان من القادة التاريخيين، وهما العربي بن مهيدي وكريم بلقاسم اللذين استفاد عبان من سكوتهما ومسايرتهما لأشغال المؤتمر، فتمكّن عبان بفضلهما تمرير تصوراته ومخططاته السياسية والعسكرية [1].

ويبدو أن عبان رمضان خرج منتصراً في النهاية، فما أقرته الوثيقة من برنامج سياسي للجبهة ومبادئ تنظيمية وأجهزة قيادية جاءت كلها مطابقة لتصوراته، لكن النجاح الذي حقّقه لم يكن مطلقاً، نظراً للمعارضة التي وقفت في وجه ولقيها أثناء جلسات المناقشة. وبالرغم من أن رئيس المؤتمر كان العربي بن مهيدي وهو من هو، إلا أن البعض رفض كل ما جاء في المؤتمر، فعلى سبيل المثال أحمد بن بلة وعبد الحفيظ بوصوف الغائبان أعلنا صراحة معارضتهما الشديدة لكل نتائج المؤتمر، وكان أحمد بن بلة على وجه الخصوص مستعداً للمواجهة إن اقتضى الأمر، ولذلك أرسل مساعده وذراعه الأيمن أحمد مهساس إلى تونس وليبيا لتنظيم جبهة المقاومة ضد أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ، بحيث استطاع هذا الأخير وفي وقت وجيز أن يربط اتصالاته مع الداخل، وخاصة بالعناصر الغاضبة بالولاية الأولى الأوراس وبالقاعدة الشرقية النهامشة بسوق أهراس الرافضين للمؤتمر ولما تمخض عنه من قرارات [2]. ولكن وصول مبعوث لجنة التنسيق والتنفيذ إلى تونس السيد عمر أوعمران، حال دون إتمام التحضيرات لتشكيل جبهة داخلية معارضة، مما اضطر أحمد مهساس إلى مغادرة تونس باتجاه سويسرا خوفاً على نفسه بعد أن تلقى تهديدات بتصفيته. وفي هذه الأثناء غادر مهساس تونس، بعد أن سلم كل مهامه إلى المبعوث عمر أوعمران ؟

(1) صالح بلحاج: أزمات جبهة التحرير الوطني وصراع السلطة 1956-1965، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص 14.
(2) المرجع نفسه، ص 15.

وبعد هذا النجاح الذي أحرزته لجنة التنسيق، يمكن القول بأن خريف سنة 1956 شهد تتويجا وانتصاراً سياسياً كبيراً لطموحات عبان، فقد تمكن الرجل الغائب عن أول نوفمبر سنة 1954 بسبب السجن من الارتقاء إلى القمة في غضون سنتين تقريبا من اندلاع الثورة [1]. ويذكر علي كافي في مذكراته أن لخضر بن طوبال كان قد ندّد بوضعية وسلوكات عبان رمضان الذي صرّح قائلا: " إن له طموحات وحتى علاقات مشبوهة مع الطرف الفرنسي"[2]

5-محاولة لنقد الأحداث:

إن الكتابة أو الحديث عن مؤتمر الصومام من منطلق ذاتي؛ ودون معطيات ووثائق كافية يؤدى في نهاية المطاف إلى الكثير من التشويش والغموض في دراسة هذه المرحلة المهمة من تاريخ الثورة، وخاصة إذا علمنا بأن الوثيقة التي أفرزها المؤتمر بعد أن صادق عليها جميع الحاضرون شكّلت المرجعية الإيديولوجية الأساسية التي ستنطلق منها الثورة لهدم النظام والإرث الاستعماري الثقيل في الجزائر. فقد كان عقد المؤتمر رغم ما قيل حوله ضرورة لتقييم المرحلة المقطوعة من عمر الثورة، وضرورة لوضع إستراتيجية مستقبلية لمواصلة الكفاح المسلح. كما كان ضرورة أملتها الظروف والحتمية التاريخية من أجل تزويد مصالح الثورة بقيادات وطنية عالية الكفاءة. وهو في حقيقة الأمر، لقد كان مؤتمر الصومام انتصار حقيقي للثورة الجزائرية، ولكن بعض المسؤولين الجزائريين وغيرهم، وخاصة المتواجدين بالخارج رأوا فيه خروجاً وانحرافاً عن مسار الثورة حسب اعتقادهم، فعلى سبيل المثال أكّد ضابط المخابرات المصرية فتحي الديب[3]، بأن السيد أحمد بن بلة كان يرى في المؤتمر وما تقرّر عنه محطة

(1) المرجع نفسه، ص 16.

(2)Ali kafi,Du militant Politique au dirigeant militaire :mémoires 1946-1962.Alger :Casbah Edition,2002,P99..

3 في كتابه: جمال عبد الناصر وثورة الجزائر، دار المستقبل العربي، القاهرة 1984، ينظر أيضا: محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص ص 114-115.

تاريخية خطيرة حوّلت مسار الثورة وانحرفت بها انحرافاً كبيراً، حيث أرجع أحمد بن بلة سبب معارضته للمؤتمر إلى ما يأتي:

- اعتراض الولايات الشرقية والغربية التي تغيبت عن المؤتمر وأن هذا الغياب سيؤدي إلى حجب السلاح عن الولايات الداخلية من أجل إرغامها على التراجع عن قرارات المؤتمر؟ .

- النتائج التي جاء بها المؤتمر لم تحظ بإجماع حتى الحاضرون في المؤتمر، وهذا ما سيؤدي إلى احتمال نشوب صراع داخلي بين الأخوة الأشقاء، وخاصة مع انتشار نغمة سياسي وعسكري في أوساط جيش التحرير الوطني[1]. ويرى السيد أحمد بن بلة بأن المؤتمر قد تسبب في ميلاد صراع داخلي عنيف على المناصب والمواقع والسلطة، ولكن الصراع في الحقيقة بدأ بإيعاز من أحمد بن بلة نفسه ؟. وهذا بإجماع أغلب الباحثين في الموضوع ولولا وقوع حادث اختطاف الطائرة يوم 22أكتوبر1956، والتي كان على متنها هو ورفاقه لوقعت مشاكل وعراقيل وتصدعات داخل الجبهة الداخلية للثورة، قد تتسبب في عرقلة الثورة بالكامل وذلك بإدخالها في مسار ونفق مسدود.

وكانت قضية التمثيل في الأجهزة القيادية للثورة أكثر القضايا إشكالاً ومحلاً للنزاع والاختلاف بين المؤتمرين، فحسب تصريح السيد لخضر بن طوبال، فإن معظم المشاركين في المؤتمر كانوا يطالبون بأن تكون القيادة من الإطارات الأساسية التي ساهمت في تفجير الثورة من المتشبعين بأدبيات مدرسة حزب الشعب الجزائر P.P.A، حتى يضمنوا الحفاظ على الخط الراديكالي للثورة حتى النهاية.

ولكن القلّة الفاعلة من الحاضرين في المؤتمر كانوا على عكس ذلك، فقد كانوا يرون بأن الثورة قد دخلت إلى مرحلة ثانية وتوسعت وصارت تضم في صفوفها فئات وعناصر سياسية متعددة ومختلفة المشارب. فكان حسب رأيهم على القادة الأوائل أخذ ذلك بعين الاعتبار، ولكن الذي فات تلك القلة الفاعلة الوافدة على الثورة هو

(1) محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ج2، ص 111.

أنهم قبلوا شروط الجبهة لحظة انضمامهم للثورة، وهي ضرورة التخلي عن مرجعياتهم وأصولهم الإيديولوجية والسياسية السابقة والتي كانوا قد تبنونها من قبل[1]. وكانت هذه النقطة الأخيرة والخطيرة مع فكرة مبدأ أولوية السياسي على العسكري محل اختلاف ونقد شديدين من قبل بعض القادة التاريخيين، لاعتقادهم بأن عبان رمضان وبقية الأعضاء الذين صاغوا وثيقة الصومام كانوا كلهم يردون احتواء الثورة والسيطرة عليها، وخاصة أن المبدأ السالف الذكر جاء مقرونا بمبدأ آخر وهو أولوية الداخل على الخارج، وكان من أسباب إصرار عبان رمضان وجماعته على هذين المبدأين أنه كان يرى بضرورة وإلزامية التفاوض مع العدو على الاستقلال؛ وفق شروط معيّنة تنتهي بوقف إطلاق النار. وقد وصل الرجل هو وجماعته إلى قناعة مفادها أن الانتصار العسكري على واحدة من أكبر القوى الاستعمارية في العالم والمدعومة بقوة الحلف الأطلسي يكاد يكون مستحيلاً.

أما بخصوص مبدأ أولوية الداخل على الخارج، فإن معظم القادة قد أقروه لأنهم أصبحوا يروا بضرورة الاعتماد على النفس والداخل؛ بدلاً من الخارج، ولأن الشهيد العربي بن مهيدي كان قد قدّم تقريراً في هذا الشأن لعبان رمضان جاء فيه وبصراحة أن مصر ومندوبية الجبهة بالخارج لا يمكن الاعتماد عليهما في قضية جلب السلاح، لأن المندوبية حسب اطلاعه كانت منقسمة على نفسها وأفرادها يتنافسون على الزعامة فقط، ونحن في الداخل نواجه العدو والمصير [2].

كما ركّز عبان رمضان في محاولته لفرض سيطرته على القادة الحاضرين في المؤتمر على مبدأ مهاجمة الخصوم المتوقعين منذ البداية، فكان من حين لآخر -أثناء جلسات المناقشة-يوجه انتقاداته اللاذعة للبعض ممن يسعى لإضعافه وإضعاف موقف السياسيين. ومن بين هذه الانتقادات على سبيل المثال انتقاده لتصرفات وسلوكيات عميروش القاسية مع سكان ضفاف وادي الصومام، بل ذهب إلى أكثر من ذلك، عندما حاول منع عميروش من حضور جلسات المؤتمر، مما آثار غضب هذا الأخير

(1) محمد العربي الزبيري: المرجع نفسه، ص 71.
(2)المرجع نفسه، ص 72.

لدرجة أنه فكر في تصفيته كونه يتعمد الإنقاص من قيمة العسكريين، كما هاجم عبان رمضان كذلك الشهيد زيغود يوسف ونائبه لخضر بن طوبال، ورد عليه هذا الأخير بعنف، عندما قال له: " أنا لستُ مستعداً لتلقي وأخذ الدروس من السياسيين الذين يردون حرباً على مقاسهم..."[1]، ولهذا عندما انتهت أشغال المؤتمر وقفل الشهيد يوسف زيغود راجعاً من أجل تأدية المهمة التي كُلف بها وهي الذهاب لتسوية مشاكل الأوراس قال قولته الشهيرة " الاستقلال على الأبواب ولكن الثورة للأسف فقد انحرفت" [2]

يقول العقيد علي كافي في مذكراته؛ بشأن ما ورد من قرارات في مؤتمر الصومام، أن السيد عبان رمضان هو من كرّس مبدأ أولوية السياسي على العسكري والداخل على الخارج، وكان هدفه من وراء ذلك هو تهميش القادة الحقيقيين للثورة وفي طليعة هؤلاء صناع أول نوفمبر سنة 1954. وبالمقابل قرّب منه المسالمين والمعتدلين، فعبان هو من اقترح السيد عباس فرحات، والشيخ عباس بن الشيخ الحسين كعضويين أساسيين في مجلس الوطني للثورة[3]. ويضيف علي كافي بأن مبدأ أولوية السياسي على العسكري تسبّب في شرخ كبير وأليم في صفوف الثورة وهو المبدأ الذي لم يرد في بيان أول نوفمبر سنة 1954، فأصبح هناك من يقول أنا من جيش التحرير الوطني وآخر يقول أنا من جبهة التحرير الوطني وبسبب هذا القرار كادت أن تتصدع الجبهة الثورية في الداخل، فهناك من قادة الداخل من أعلن ولاؤه لطرف على حساب الطرف الآخر[4] .

وبعد انعقاد المؤتمر، تعمّقت الخلافات أكثر بين الداخل والخارج، وازدادت درجة التنافس والتسابق على السلطة، وعادت الانقسامات والخلافات التي كانت

(1) محمد العربي الزبيري : المرجع نفسه، ص 76.
(2) محمد صغير هلايلي : المصدر السابق، ص 257.
(3) علي كافي : المصدر السابق، ص 132.
(4)المصدر نفسه، ص 61.

سائدة ومتأصلة قبل اندلاع الثورة، وظهرت مراكز قوى جديدة كادت أن تنحرف بمسار الثورة.

ويبدو أن سبب تحامل علي كافي على قرارات المؤتمر وعلى عبان رمضان، يعود إلى تلك الصدمة النفسية التي تعرض لها؛ بسبب إبعاده عن جلسات المؤتمر في آخر لحظة، وذلك بسبب الأمر الذي صدر عن قائده زيغود يوسف الذي طلب منه العودة إلى تراب المنطقة الثانية الشمال القسنطيني، من أجل استقبال شحنة سلاح التي كانت في طريقها إلى تراب المنطقة. وبعودته امتثالا لأمر قائده زيغود يوسف يكون علي كافي قد فوّت على نفسه فرصة حضور المؤتمر، وخاصة أن الشحنة التي رجع من أجلها لم تصل؟

وكانت معظم الانتقادات التي وجّهها علي كافي تصب بشكل غير مباشر في صف المعارضة التي بدأت تتشكل بالخارج بعد انتهاء جلسات المؤتمر وتسرب نتائجه للخارج، واعتبر كل من أحمد بن بلة وأحمد علي مهساس المؤتمر المنعقد في بلاد القبائل؛ بمثابة مؤامرة قبائلية ضد الأمة العربية الإسلامية؟ [1] ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد وجدت العناصر المشوّشة التي كانت تتركز في القاعدة الشرقية النمامشة بالمنطقة الأولى(الأوراس) ضالتها وغطاءها السياسي في الأزمة وفي موقف الوفد الخارجي من قرارات المؤتمر، فتجاوبت هذه الوحدات مع طموحات السيد أحمد بن بلة، والسيد أحمد علي مهساس، اللذان راحا بدورهما يبحثان عن أنصار ومؤيدين لهما في الداخل؛ بهدف التأثير على سير القيادة الجديدة المنبثقة عن المؤتمر [2]. ولهذا انتقل أحمد علي مهساس إلى القاعدة الشرقية بسوق أهراس وإلى حدود الولاية الأولى الأوراس وراح هناك يشنّع عن أصحاب مبادرة الصومام ويشيع أخبار مفادها، بأن الثورة قد استولت عليها العناصر القبائلية موظّفاً في ذلك النعرة العرقية والجهوية المقيتة لإذكاء النزاع والصراع، بل ذهب إلى أكثر من ذلك عندما دعا

(1) سعيد سعدي: المرجع السابق، ص75.

(2) مسعود عثماني: من اغتال بن بولعيد، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2015، ص 155.

مهساس إلى عقد اجتماع أو مؤتمر موازي لمؤتمر الصومام على الحدود الشرقية تشارك فيه العناصر والقيادات المعارضة.

وبالفعل انعقد الاجتماع يوم 15 ديسمبر 1956 وشارك فيه عن الولاية الأولى (منطقة الأوارس) بعض القادة المحسوبين عن المشوشين، أمثال مسعود عايسي، وشريط الأزهر، والباهي شوشان، وعمر بن بولعيد، وعبد الله بلهوشات، وبلعيد حوده وعمار بوقلازة، حيث أصرت هذه العناصر على مواقفها المعارضة، كما حاولت لجنة التنسيق والتنفيذ فيما بعد محاورتهم في محاولة منها لإقناعهم من أجل الرجوع للصف فاستدعت هؤلاء القادة الميدانيين إلى تونس وهكذا انتقل كل من مسعود عايسي، وعمر بن بولعيد، وأحمد عزوي إلى تونس.

وبغض النظر عن أسلوب الحوار الذي ساد جلسات النقاش بفعل الحماس والانفعال وعدم الثقة المتبادلة، فإن عناصر اللجنة قد اكتشفوا ولمسوا ما لهؤلاء من نزعة إلى التمرد وقلة الانضباط والانقياد، مما دفع بأتباع لجنة التنسيق والتنفيذ في تونس إلى اعتقال وسجن أحمد عزوي الأكثر حماساً والذي استطاع بفضل علاقاته هناك الفرار من السجن والالتحاق بمقر قيادته بتراب الولاية الأولى الأوراس. ومن هناك وعلى الفور بعث برسالة إلى ممثلي لجنة التنسيق والتنفيذ المتواجدين بالعاصمة جاء فيها ما يلي:" إن كانت حركتكم يمثلها أمثال هؤلاء يقصد الذين اعتقلوه العقيد مصطفي بن عودة والعقيد عمر أوعمران الذين تحادثنا معهم في مدينة تونس، فإننا لن نلتقي بعد اليوم إلا على قمم الجبال وإن الحوار بيننا لن يكون إلا بلغة الرصاص الذي ستتردد أصداؤه في جبال الأوراس[1]."

إلى هذا الحد وصل الانسداد بين الفصائل المنشقة في شرق البلاد والقيادة الشرعية المنبثقة عن المؤتمر غاب التعقل وأسلوب الحوار وساد منطق القوة والعنف والمواجهة وهنا طبعا تظهر بصمات ودور أحمد بن بلة وأحمد علي مهساس في تعميق الخلاف والأزمة بين الأخوة المتصارعين، كان النقد موجها وبقوة إلى ما أفرزه مؤتمر

(1) محمد زروال: إشكالية القيادة، ص395، وينظر أيضا مسعود عثماني: من اغتال بن بولعيد، ص 158.

الصومام من قرارات ولا سيما ما يتعلق بنظام الأولويات. وبالرغم من أن هناك عدة قراءات لهذه الترتيبات السياسية، غير أن هؤلاء الطاعنين في القرارات كانت لهم وجهة نظر واحدة، وهي أن هذه القرارات قد مست بكرامتهم وأجحفت في حقهم، وهم القادة والسادة المعروفين في وقت المعارك الضارية. وفي محاولة لدحض ادعاءات من تسببوا في مثل هذه الصراعات والخلافات، وهم في الغالب من أعضاء الوفد الخارجي، ونخص بالذكر السيد أحمد بن بلة، والسيد أحمد علي مهساس، يمكن القول بأن إدعاءاتهما بخصوص صعوبة اختراق الحدود والدخول إلى الجزائر هي إدعاءات غير دقيق لأن السيد العربي بن مهيدي كان هو كذلك متواجد بالقاهرة في الوقت الذي استدعاهم فيه عبان رمضان للدخول ولكنه استطاع الدخول وبسهولة حيث شارك في المؤتمر بل ترأس جلساته كممثل للمنطقة الخامسة وهران وحضور بن مهيدي يكفي لدحض ادعاءات بن بلة ورفقاؤه بعدم القدرة على الدخول[1]، لا شيء كان يمنع ممثلي القاهرة من الدخول إلى البلاد فلماذا امتنعوا عن ذلك إذن ؟، هل يجب أن نتغاضى عن ذكر الوقائع التاريخية لإيجاد تفسير أو تقديم فرضيات عن أسباب غياب أحمد بن بلة ورفقاؤه عن وقائع المؤتمر؟

وفي سبيل فهم هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الثورة، لابد من محاولة فهم الأسباب العميقة التي حركت الأحداث، فلنفرض جدلا أن عبان رمضان كان لا يرغب في حضور أحمد بن بلة للمؤتمر رغم الرسائل التي كان يرسلها عبان إلى الوفد الخارجي من أجل مشاركتهم في المؤتمر؟ فلماذا لم يحضر أحمد بن بلة أذن وهو القائد التاريخي البارز؟. قد يكون السبب في عدم دخول أحمد بن بلة هو خشيته من المحاسبة والنقد الذي كان ينتظره من قبل قادة الداخل وعلى رأسهم عبان رمضان الذي كان غاضباً ومستاءً من تخاذل الوفد الخارجي في مسألة توفير وإمداد الثورة بالسلاح والذخيرة الحربية. هل نعتبر هذا مجرد تخمين وافتراض؟ قد يكون ذلك، وخاصة إذا علمنا بأن الرسائل بينهما كانت تحمل الكثير من التهم و العتاب، وقد بلغ الحقد مبلغاً

(1) مسعود عثماني: المرجع نفسه، ص 160.

خطيراً بينهما بعد انعقاد المؤتمر، والدليل على ذلك تلك الرسالة التي وجّهها أحمد بن بلة بتاريخ 26 أفريل 1958 إلى كل من كريم بلقاسم، ولخضر بن طوبال، وعبد الحفيظ بوصوف، والتي هنّأهم فيها بطريقة غير مباشرة عن اغتيال عبان،والتي جاء فيها ما يأتي: "لا يسعنا إذن إلا أن نشجعكم على المضي قدما في طريق التطهير هذا، فمن واجبنا جميعا إذا أردنا أن ننقذ الثورة وجزائر الغد أن نقف بالمرصاد لكل من يحاول التشويش ، يجب أن لا نتسامح في مجال التطهير "[1].

وكان بن بلة من قبل في خلاف مع رفقاؤه في القاهرة، وكان الاختلاف والخصام أشد في ربيع 1956 بين بن بلة وبن مهيدي، ويبدو أن سبب الخلافات هو تماطل مجموعة الخارج في إدخال السلاح إلى الداخل، مما اضطر بن مهيدي للسفر إلى هناك لمعرفة الأسباب التي تعيق إرسال الأسلحة ؟، وهذا ما قد يفسّر عدم حضور بن بلة المؤتمر، وخاصة إذا علمنا بأن المسألة الرئيسية التي أخذت حصة الأسد في مناقشات المؤتمر كانت قضية تنظيم الثورة وجلب السلاح والمال، وهي من أهم مهام بن بلة الرئيسية في الخارج[2].

ويمكن أن نعتبر أرضية مؤتمر واد الصومام، إنما جاءت لتُكمّل ولتثري ما ورد في بيان أول نوفمبر سنة 1954، لأن هذه الوثيقة قد تكفّلت بدعم الكفاح المسلح برؤية سياسية وطنية واضحة، وإذا كانت أرضية الصومام لم تكرر ما ورد في بيان أول نوفمبر من أن الهدف الأول للثورة هو استرجاع السيادة وإعادة بناء الدولة الجزائرية في شكلها الجمهوري والاجتماعي في إطار المبادئ الإسلامية، فإنها لم تتعرض بالنقد لأية واحدة من النقاط التي وردت في البيان، وهذا يعني بأن الوثيقة قد تبنّت كل ما جاء في بيان نوفمبر.

أما عن المسؤولين الذين صاغوا أرضية مؤتمر الصومام، فإذا استثنينا السيد عمار أو زقان، فإن معظمهم كانوا متشبعين بالإيديولوجية الوطنية لحزب الشعب

(1). معمر خالفة: المرجع سابق، ص 22 وينظر كذلك: محمد حربي: أرشيف الثورة الجزائرية، منشورات جون أفريك، ص184.

(2) معمر خالفة: المرجع نفسه، ص 23.

الجزائري، فهناك الكثير من الذين يعتقدون بأن وثيقة الصومام تخالف بيان أول نوفمبر فيما يتعلق بشكل نظام الحكم بعد وقف إطلاق النار، ويلصقون هذا الانحراف المزعوم بالسيد عبان رمضان ومن معه، على أساس أنهم كانوا ضد نظام الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية في إطار المبادئ الإسلامية، ولكن من يتأمل في الوثيقة يجد أنها انطلقت من بيان أول نوفمبر مباشرة، وركّزت على نقطتين أساسيتين، وهما [1]:

- إثراء بيان أول نوفمبر 1954.
- تعيين قيادة عليا تناط إليها مهمة ومسؤولية مواصلة الكفاح وتسيير شؤون الثورة من أجل استرجاع السيادة الوطنية المسلوبة.

فالوثيقة تعتبر ميثاقا وطنيا، تضمّنت بكثير من الدقة والتفاصيل تقييم المرحلة السابقة من حياة الثورة وآفاقها المستقبلية وآفاق المجتمع الجزائري بعد استرجاع السيادة، بالإضافة إلى تنظيم مختلف جوانب الكفاح. وإذا رجعنا قليلاً إلى الوراء، فالجزائر في نظر الكثير من المثقفين الفرنسيين لم تعرف الاستقلال في تاريخها ولم يكن فيها شعب موحد وكانت لا تستطيع العيش بدون مساعدة ووصاية أجنبية. أما سكانها، فهم عبارة عن أجناس وقبائل مختلفة ومتنافرة ومتناحرة فيما بينها[2]. وقد ظلّت هذه النظرية الاستعمارية سائدة ومنتشرة، وخاصة بعدما تبناها الحزب الشيوعي الفرنسي الذي ظل يدافع عنها في فترة الأربعينيات، فمعظم تدخلات الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي موريس توريز كانت تؤكّد على ذلك. وحسب هذا التصور السطحي الساذج؛ وبحكم أنها لم تكن موجودة (يعني الجزائر) فلا يحق لأبنائها أن يموتوا من أجلها أومن أجل بعثها، وهذا ما أكّده أحد أبناء الجزائر السيد فرحات عباس، قبل أن ينضج سياسياً عندما قال في تصريح له نشرته صحيفة الوئام يوم 23 فيفري 1936 [3] جاء فيه ما يلي: " لو اكتشفت الأمة الجزائرية لكنت وطنياً دون أن

(1) محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ج2، ص 61.
(2)المرجع نفسه، ج2، ص 66
(3) عمار بوحوش: المرجع السابق، ص279.

أخجل ... لكني لن أموت من أجل الوطن الجزائري، لأنه بكل بساطة غير موجود إنني لم أعثر عليه لقد سألت التاريخ واستنطقت الأحياء والأموات وزرت المقابر ولم أجد من يعرف ذلك . " (1)

وفي نفس السياق كتب بيار مونتانيون (**Pierre Montagnons**) ما يلي: "أن فحص وتأمل ألفي سنة من تاريخ المغرب الأوسط يجعلنا نؤكد عجز الشعب الجزائري عن بناء أمة وإنشاء حضارة، لقد تساءل المؤرخون حول ذلك فلم يجدوا أثراً للدولة الجزائرية ولا لثقافتها خاصة التي تتميز بمؤلفاتها الأدبية وآثارها الفنية، إن تاريخ الجزائر فارغ مثل أرضها التي ليس فيها سوى آثار الآخرين. (2)"، ولهذا يرى في ضم الجزائر إدارياً إلى التراب الفرنسي أمراً طبيعي للغاية (3).

وأمام هذه الموجة الهائلة من التزييف، كان على الجبهة أن تعمل على استرجاع السيادة والاستقلال الوطني المسلوب، ولأجل ذلك أكّدت وثيقة الصومام على أن الكفاح المسلح سيبقى مستمراً حتى يتم الاعتراف بما يأتي:

- بالشعب الجزائري شعباً واحدا لا يتجزأ.
- الاعتراف بالسيادة الوطنية على كافة التراب الجزائري.
- الاعتراف بجبهة التحرير الوطني كممثل وحيد وشرعي للشعب الجزائري.

ولهذا كانت الحاجة ماسة لمثل عقد مؤتمر الصومام، ولمثل الوثيقة المنبثقة عنه، فقادة الجبهة كانوا يشعرون بالحاجة إلى تنسيق وهيكلة الجبهة التي بدأت تتضرر بسبب غياب أرضية سياسية هذا من جهة، واستقلالية المناطق من جهة أخرى. ولكن تصرفات عبان رمضان ومواقفه المعاندة والصلبة التي ظهر بها أثناء المؤتمر جلبت له المتاعب والكراهية من طرف الثالوث القوي المتحكم في مفاصل الثورة من الخارج. وهكذا تمّ استدراجه إلى الفخ الذي نُصب له بالمغرب أين لقي حتفه. وبعد غياب

(1) ينظر جريدة الوفاق أو الوئام، الصادرة بتاريخ 23 فيفري 1936.
(2) محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ج2، ص67.
(3) ينظر: المرسوم الملكي الفرنسي الصادر بتاريخ 22 جويلية 1843.

عبان رمضان عن الساحة ظهرت بعد ذلك شخصية أخرى قوية في الداخل وهو العقيد عميروش آيت حمودة (قائد الولاية الثالثة القبائل الكبرى)، والذي كان يرغب هو الآخر في السيطرة على القيادة في الداخل بوُقوفه في وجه الانحرافات التي وقعت فيها الحكومة الجزائرية المؤقتة، وكان الرجل يلح على ضرورة دخول كل من هم بالخارج إلى الجزائر، ماعدا السيد رئيس الحكومة، ولكن الرجل هو الآخر سقط شهيدا يوم 29 مارس 1959 رفقة قائد الولاية السادسة الصحراء العقيد سي الحواس، وهما في طريقهما إلى تونس من أجل تسوية الخلافات والمشاكل التي كانت تتخبط فيها القيادة بالخارج[1].

وبالرجوع إلى موضوع المؤتمر، فإن من حق الذين شاركوا في أشغاله أو عايشوا الحدث أن يعبروا قولاً أو كتابة عن مواقفهم وأن يدلوا بآرائهم في الموضوع. ولكن عليهم في نفس الوقت أن يدركوا أن مواقفهم وأرائهم ليست بالضرورة صحيحة، لأن الرأي والموقف يتكونان حسب قدرة صاحبهما على فهم الواقع وتقديره، وهي قدرة تختلف من شخص إلى آخر حسب الإمكانيات الفكرية والثقافية لكل إنسان.

وبعد اختطاف طائرة الوفد الخارجي يوم 22 أكتوبر 1956، أصبح السيد كريم بلقاسم يتضايق من طموحات السيد عبان رمضان إلى درجة أنه ندم على تعيينه على مستوى الجزائر العاصمة كمسؤول بل راح يحمله مسؤولية فشل معركة الجزائر أمام لاكوست وماسو، فبعد اختطاف طائرة الوفد واستشهاد السيد العربي بن مهيدي أصبح كريم يرى في نفسه هو المؤهل لقيادة الثورة لأنه هو الوحيد الذي بقي من الزعماء التاريخيين على قيد الحياة [2].

وبعد إضراب الثمانية أيام الشهيرة وتدهور الأوضاع الأمنية في العاصمة، بحيث أصبحت الظروف غير مواتية لعمل أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ CCE قرّرت حينها المجموعة مغادرة الجزائر العاصمة باتجاه تونس، وقد اتخذ القرار من قبل القادة

(1) دانيال قيران: عندما تثور الجزائر، ط1، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص124.
(2) محمد صغير هلايلي: المصدر السابق، ص 255.

الخمسة، ولكن في لحظة الرحيل كانوا أربعة، وتم إلقاء القبض على العربي بن مهيدي يوم 23 فيفري 1957 ليقتل بعد ذلك في السجن بعد أيام قلائل من اعتقاله ليلة 04 مارس 1957.

وتحسباً لكل طارئ، وحرصا على سلامة البقية قرر الأربعة أن يتفرقوا؛ فعبان وسعد اتجها غرباً نحو المغرب الأقصى، وكريم بلقاسم وبن خدة اتجها شرقاً نحو تونس والتقى الأربعة في صيف سنة 1957 بتونس بعد أن التحق بهم كلاً من لخضر بن طوبال وعبد الحفيظ بوصوف، هذا الأخير القادم من تراب الولاية الخامسة، وفي تونس عكفت المجموعة للإعداد والتحضير لاجتماع المجلس الوطني للثورة[1].

ولاحظ كل من العقيد عبد الحفيظ بوصوف والعقيد لخضر بن طوبال اللذان كانا موجودين في تونس حالة التنافس الشديدة بين السيد عبان رمضان والسيد كريم بلقاسم، فقررا البقاء معهما في الخارج لمشاركتهما القيادة. وبالتدريج بدأ الصراع يأخذ أشكالاً أخرى بين العسكريين الذين كان يقودهم الثلاثي كريم بلقاسم وعبد الحفيظ بوصوف ولخضر بن طوبال والسياسيين الذين كانوا بدورهم يساندون عبان رمضان كبن يوسف بن خدة، وفرحات عباس، وعبد الحميد مهري، والدكتور أحمد أمين الدباغين.

وبالقاهرة تحديداً، تمّ الانقلاب على قرارات مؤتمر الصومام الواحد تلوى الآخر، حيث تم إلغاء فكرة الأولويات، ولفرض سلطة العسكريين تم التوسيع في عضوية لجنة التنسيق والتنفيذ. وفي المجلس الوطني للثورة، ولكن عبان رفض بشدة أن يُجهض مشروعه ويغتال طموحه بهذا الشكل السريع، فراح يهدد ويتوعد خصومه من العسكريون قائلاً: " أبدً لن نسمح بالأغلبية للعسكريين حتى لا يصبحوا إقطاعيين جدد. " ، واستغل عبان منصبه الجديد في جريدة المجاهد، وأخذ يشنع ويندد متهما إياهم بالقصور والضحالة الثقافية وبالغباء السياسي. ويقال أن عبان أسمع كريم

(1) صالح بلحاج: المرجع السابق، ص 17.

بلقاسم ما لا يرضيه بعد أن أقصى هذا الأخير عبان من المهام القيادية بتكليفه الإشراف على جريدة المجاهد فقط.

وقد بدأ عبان في القاهرة يهدّد خصومه بنية العودة إلى الجزائر، من أجل التشهير بأساليبهم وتصرفاتهم غير المسؤولة والمنحرفة عن مبادئ أول نوفمبر أمام قادة الداخل، بينما كان العقداء الخمسة مصمّمين على ترسيخ سلطتهم التي وقف في طريقها عبان، و هكذا تفاقمت الأزمة بينهما بسرعة وازدادت حدة وأصبح عبان لا يحضر جلسات لجنة التنسيق والتنفيذ الجديدة في الخارج، مما جعل العقداء يوجهون له إنذاراً عن طريق زملائه السياسيين في اللجنة أمثال فرحات ومهري والأمين الدباغين، لكن الرجل بقي مصمماً وصامداً على مواقفه، وهذا ما جعل العقداء يقررون تصفيته نهائياً [1].

ولإتمام المهمة التي استقر عليها العقداء، تم إبلاغ عبان -الذي كان متواجدا بتونس خلال تلك الفترة-بأن قضية مهمة تنتظره في المغرب الأقصى، قيل له بأن كتيبة من قوات جيش التحرير الوطني المرابطة على الحدود الجزائرية المغربية، قد تم تجريدها من سلاحها من طرف القوات الجيش المغربية، ولابد أن تتدخل لتسوية القضية مع الملك المغربي محمد الخامس. وقد قبل عبان مضان القيام بالمهمة واتجه رفقة كريم بلقاسم والعقيد محمود الشريف يوم 24 ديسمبر 1957 نحو مدينة تطوان المغربية عن طريق روما ومدريد، وكان في انتظارهم على أرضية المطار بمدينة تطوان يوم 27 ديسمبر العقيد عبد الحفيظ بوصوف؛ رفقة اثنان من عناصر أمنه وتحرك الجميع على متن سيارة من الحجم الكبيرة رباعية الدفع؛ باتجاه مدينة طنجة. وفي الطريق انحرفت بهم السيارة لتسلك طريقاً غير معبدة باتجاه إحدى المزارع، وعند وصول السيارة أمام المزرعة أرغم العنصرين المرافقين للعقيد بوصوف عبان رمضان على الخروج من السيارة وقاما بسحبه بالقوة إلى داخل المزرعة، بينما عاد الثلاثي بوصوف، وكريم بلقاسم، ومحمود الشريف أدراجهم باتجاه فيلا قريبة من المزرعة،

(1) صالح بلحاج: المرجع السابق، ص22.

حيث كانت تنتظرهم هناك مائدة العشاء جاهزة. وفي نهاية الأمسية عاد العنصران ليخبرا بوصوف بأن عبان في الغرفة المجاورة، حينها ذهب الجميع إلى الغرفة فوجدوا عبان ممدداً على السرير ومن دون حركة كان الحبل الذي شنق به ما زال ملفوفا حول عنقه[1].وعندما انتشر خبر اغتيال عبان شرعت الصحافة الفرنسية في استغلال الحدث، بينما رتّب العقداء الثلاثة رواية مفادها أن عبان رمضان سقط في ميدان الشرف وجاء الخبر في صحيفة المجاهد الصادرة بتاريخ 29 ماي 1958؛ أي بعد خمسة أشهر من حادثة الاغتيال.

يقول الرائد لخضر بورقعة عن عبان رمضان الذي التقى به ذات مرة على سفوح جبال الشريعة بغابة مورفة؛ قال خاطبنا عبان بكلمة ما فتئت تمخر ذاكرتي منذ عقود من الزمن قال رحمه الله: "إن قوة الثورة لا تكمن في السلاح فقط ولا في نوعيته ولا في شجاعة الرجال، بل تكمن أساساً في قوة التنظيم والانضباط. " [2].

6-نتائج مؤتمر الصومام:

يقول لخضر بن طوبال؛ بخصوص افتتاح المؤتمر وسير أشغاله، وهو أحد الأعضاء المشاركين الأساسيين في المؤتمر ما يلي: " شرعنا في العمل من يوم الثلاثاء 14 أوت وانتهينا من الاجتماعات الموسعة يوم 20 أوت لتبدأ الاجتماعات المصغرة على مستوى القيادة التي اتفقت وصادقت على صيغ المقررات الأخيرة يوم 23 أوت 1956 .. " [3]. يقول وبعد شرح الأسباب التي دعت إلى الاجتماع، وبعد تقديم التقارير الخاصة عن كل منطقة من المناطق الخمسة. وبعد أخذ ورد وجلسات ومناقشات ساخنة دامت لعدة أيام، نستطيع أن نستخلص أهم نتائج وقرارات المؤتمر في النقاط الآتية:

(1)المرجع نفسه، ص23.
(2) لخضر بورقعة: شاهد على اغتيال الثورة، ط2، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، ص 39.
(3) لخضر بن طوبال: ((ذكريات عن أحداث 20أوت 1955))، في مجلة أول نوفمبر، العدد 105، 1993، ص41.

1- تقسيم البلاد إلى ستة ولايات، بإضافة الولاية السادسة الصحراء وأصبحت كل ولاية متكونة من عدة مناطق وتحت كل منطقة عدة نواحي، وفي كل ناحية عدة قسمات، وكل قسمة تضم مجموعة من المجالس الشعبية البلدية السرية التابعة للجبهة وعلى رأس كل ولاية ضابط برتبة عقيد.

2- تخضع مسألة القيادة لمبدأ الإرادة الجماعية على مستوى الولاية وعلى مستوى القيادة العامة العليا للثورة وقائد الولاية يمثل السلطة الحقيقية للجبهة يساعده في ذلك ثلاثة ضباط نواب برتبة رائد.

3- جاءت القرارات في الجانب العسكري بمبدأ توحيد النظام العسكري وضبط الرتب وتقسيم وحدات جيش التحرير الوطني إلى أفواج وفرق وكتائب وفيالق مع تحديد أجور أفراد جيش التحرير حسب رتبهم.

4- في الجانب السياسي تناولت القرارات التنظيم السياسي وبينت مهام المحافظين السياسيين ومهام المجالس الشعبية.

5- تأسيس وتشكيل الهيئات والمؤسسات الحاكمة للثورة، كالمجلس الوطني للثورة والذي تشكل من 34 عضوا منهم 17 عضوا دائم والنصف الآخر مستخلف، ولجنة التنسيق والتنفيذ التي تشكّلت من خمسة أفراد لهم حق وسلطة المراقبة على الأجهزة السياسية والعسكرية الأخرى[1].

6- أما فيما يخص العلاقة بين جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني، فقد تبنى المؤتمر إعطاء حق الأولوية للسياسي على العسكري، وفيما يخص العلاقة بين الداخل والخارج، فقد تقرر إعطاء الأولوية للداخل على الخارج مع مراعاة مبدأ التشارك في الإدارة والتسيير.

(1) يحي بوعزيز: ثورات القرن العشرين، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،2009، ص ص152-153.عبد الوهاب خليف: تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، ط1، دار طليطلة، المحمدية الجزائر، 2009، ص203.

7- تشكيل محاكم مدنية وعسكري تتكفل بالقضايا المطروحة بعيدا عن المحاكم الفرنسية الاستعمارية[1].

وحاصل القول، فإن حب الزعامة هو الذي كان يحرك مهندسي المؤتمر، والذي عزّز من طموح هؤلاء، هو رغبتهم في ركوب قطار التفاوض مع فرنسا، لأن فرنسا في السنوات الأولى من الثورة ناورت عن طريق إيفاد مبعوثين للتفاوض مع الثوار، إذ كانت تروج لما يسمى بـ "الصداقة الموضوعية"، فظنوا اعتقادا منهم بأن فرنسا أصبحت في حاجة ماسة إلى مفاوض، بالإضافة إلى ذلك الدور الفرنسي في إحداث الشقاق داخل صفوف الثورة، وقد تمكّنت إلى حد ما من ضرب الصفوف واستحداث طرفين، ولولا وعي المجاهدين الأوفياء لكان الشقاق بإمكانه أن يؤدي إلى نهاية الثورة وإجهاضها.

وعلى العموم، فقد مثّل مؤتمر الصومام التاريخي منعطفا حاسما في مسار الحركة الوطنية، لأنه نجح في وضع تأسيس جديد وتنظيم دقيق للثورة التحريرية، كما كرّس شموليتها وضمن استمراريتها، بالإضافة إلى أنه حقّق الانتقال من القيادة الفردية إلى القيادة الجماعية، من خلال تأسيس المجلس الوطني للثورة الجزائرية، وإنشاء لجنة التنسيق والتنفيذ التي كانت بمثابة السلطة التنفيذية. وخرج المؤتمرون بوثيقة سياسية هامة، شكّلت ميثاقاً ومنهجاً سياسياً سارت عليه الثورة التحريرية بمفهومها الواسع والشامل، وليست حرباً فقط، كما كانت تُروج لذلك الدعاية الاستعمارية، وهي ثورة تنشد استرجاع السيادة بتحرير الأرض والمواطن من مخلّفات الإرث الاستعماري، وتضمن وتُشيع الحرية والمساواة بين المواطنين دون تمييز عرقي أو ديني.

(1) محمد لحسن زغيدي: المرجع السابق، ص ص 142-158.